أسماء التفضيل من أفعال شاع في لهجة تلك القبائل استعمالها بصيغتها الثلاثيّة، وقد رأى النحاة في ذلك خروجا على الكثير الغالب، لأنّ المزيد من تلك الأفعال هو الشائع والمستعمل في اللغة.

وهو ما أشار إليه الميداني أيضا في معرض حديثه عن أسماء التفضيل التي جاءت مخالفة لشروط الصياغة التي حددها النحاة، فقال: " "ما أتقاه لله "يمكن أن يحمل على لغة من يقول: تَقَاه يَتْقِيه، بفتح التاء من المستقبل وسكونها، حتى قد قالوا :أتقى الأتقياء، وبنوا منه تَقِي يَتْقِي مثل سَقَى يَسْقِي،...إلا أن المستعمل تحريك التاء من يتقي،... فلما وجدوا الثلاثي منه مستعملا بنوا عليه فعل التعجب، وبنوا منه فَعِيلا كالتقيّ وقالوا منه على هذه القضية :ما أتقاه لله. وقولهم "ما أَنْتَنَه " إنما حملوه على أنه من باب نَتُنَ يَنْتُنُ نَتناً، وهي لغة في أَنْتَنَ يُنْتِنُ ...وقولهم "ما أظلمها وأضوأها "من هذا القبيل أيضاً، لأن ظَلِمَ يَظْلَم ظلمة لغة في أظلم، وكذلك"ما أضوأها "يعنون الليلة إنما هو من ضَاء يَضُوء ضَوْءاً وضُوَاء، وهي لغة في أضاء يُضِيء إضاءة"[89].

ويستخلص مما ذهب إليه المازني والميداني إلى أنّ بعض ما صيغ منه أسماء التفضيل من غير الثلاثي، يمكن ردّه إلى لغة أخرى مستعملة للفعل في لهجة قبيلة أخرى، وأمّا ما لا يمكن ردّه فيبقى من المسموع من كلام العرب الذي استعملوه وفق ما جرت عليه ألسنتهم في لهجاتهم، وهو وإن كان لا يقاس عليه فإنه يبقى مسموعًا يمثّل تنوّعا لهجيًا في بناء اسم التفضيل من غير الثلاثيّ. ولعلّ أوضح مثال لهذا المثل القائل: – أَهْلَكُ مِنْ ثُرَهَاتِ البَسَابِسِ (4630)، فاسم التفضيل (أهلك) ليس من الفعل المزيد (أهلك) ومصدره إهلاكًا) كما قد يبدو، ولكنه من فعل ثلاثي يستعمله بنو تميم، فيقولون: هلكَ بمعنى (أَهْلكَ)، فلما جرى ذلك في لغتهم، بنوا منه اسم تفضيل، ومعنى المثل: كلامه أشدّ إهلاكا من الطرق التي تقود الإنسان إلى الضياع في الصحراء، أنه أُخِذَ في غير القصد وسلَكَ في الطريق الذي لا ينتفع به، كقولهم :رَكِبَ فلاَن بُنَيَّات الطريق. قال الميداني حين أورد هذا المثل:..ذكر أبو عبيد أنه مَثَلٌ من أمثال بني تميم، وذلك أن لغتهم أن يقولوا: هَلَكْتُ الشيء، بمعنى أهلكته، يدل على ذلك قول العجاج وهو تميمي: ومَهْمَهٍ هَالِكِ مَنْ تَعَرَّجَا ... أي مُهْلك مَنْ تعرج.[90].

وقد وردت كثير من الأمثال التي تمثّل تنوّعًا لهجيًا في صياغة أسماء التفضيل من غير الثلاثي، منها:

– أَحْوَل من ذئبٍ، قيل إن اسم التفضيل (أحول) مصوغ من الاحتيال، وفي تقديري يمكن أن يكون مصوغًا من الفعل الثلاثي (حالَ) وهو لغة في (احتال)، يقولون: حال عليه أي: احتال عليه. قال ابن منظور: وَمَا أَحْوَلَهُ وَأَحْيَلَهُ مِنَ الْحِيلَةِ ، وَهُوَ أَحْوَلُ مِنْكَ وَأَحْيَلُ مُعَاقَبَةً ، وَإِنَّهُ لَذُو حِيلَةٍ . وَالْمَحَالَةُ : الْحِيلَةُ نَفْسُهَا . وَيُقَالُ : تَحَوَّلَ الرَّجُلُ وَاحْتَالَ إِذَا طَلَبَ الْحِيلَةَ . وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ : مَنْ كَانَ ذَا حِيلَةٍ تَحَوَّلَ . وَيُقَالُ : هُوَ أَحْوَلُ مِنْ ذِئْبٍ ، مِنَ الْحِيلَةِ . وَهُوَ أَحْوَلُ مِنْ أَبِي بَرَاقِشَ : وَهُوَ طَائِرٌ يَتَلَوَّنُ أَلْوَانًا ، وَأَحْوَلُ مِنْ أَبِي قَلَمُونَ : ثَوْبٌ يَتَلَوَّنُ أَلْوَانًا[91].

---

[89] الميداني، مجمع الأمثال ج1ص82- 83

[90] الميداني، مجمع الأمثال ج2ص408 والثُّرَهَاتِ الطرق الصغار المتشعبة من الطريق الأعظم، والبسابس: جمع بَسْبَس، وهو الصحراء الواسعة التي لا شيء فيها

[91] ابن منظور، لسان العرب مادة حول